المبحث العاشر

السرقة

يجب أن ننبه من البداية إلى أن السرقة عند الطفل لها مدلول يختلف عن المدلول الذي لدينا نحن الكبار؛ فالسرقة لدينا عمل مشين ومهين، تتنافى بطبيعة الحال مع القيم والمعاييرالأخلاقية، ولذا نستطيع أن نتصور مدى انزعاج الآباء، عندما تبعث إليهم المدرسة مثيرة إلى أن أطفالهم قد ضبطوا متلبسين بالسرقة، إنهم يضطربون اضطرابًا شديدًا، قد لا يحدث لهم - هذا الاضطراب - إذا قيل لهم: إن أطفالكم كسالى أو متخلفون دراسيا!!، ذلك لأن الآباء لا يعتبرون أنفسهم قد فشلوا في تعليم أطفالهم قواعد العلم وأسس المعرفة والثقافة فحسب، بل أخفقوا أيضا في تهذيبهم وتقويمهم، وأن هؤلاء الأطفال قد صاروا يواجهون مستقبلاً مترديًا، يؤكده هذا الانحراف الخلقي.

وحقيقة الأمر، التي تؤكدها معظم الدراسات السيكولوجية، أن هناك أنواعًا من السرقة يأتيها الطفل بدوافع بعيدة كل البعد عن دوافع السرقة في مدلولها السالب المهين، الذي لدينا نحن الكبار، فقد يسرق الطفل لأنه لا يدرك معنى الملكية. والأجدر بنا والأصوب أن نهتم ببحث واستقصاء الدوافع والأسباب، التي أدت إلى سلوك السرقة قدر الاهتمام بالواقعة نفسها.

دوافع السرقه وأسبابها:

١- الجهل بمعنى الملكية :

إن غريزة الاقتناء أو الامتلاك قوية في كثير من الأطفال، إلى أن يتعلموا بخبرتهم أن كثيرًا من الأشياء محرمة عليهم، غير أن الخوف من العقاب في بداية حياة الطفل هو العامل الوحيد الذي يردعه عن السرقة.

وعندما يمد الطفل يده ليستولى على ممتلكات غيره، إنما يمدها لأنه يرغب في استخدام تلك الممتلكات، لا ليسرقها - كما نتصور - فهو يجهل

تمامًا معنى أن يحترم ملكية الآخرين؛ فنموه لم يمكنه بعد من التمييز بين ممتلكاته وممتلكات غيره، وهو أيضًا لا يدرك أنّ احترام ملكية الآخرين تعني ألا يحصل عليها، أو يستخدمها إلا بإذن من أصحابها وإلا أعتبر الأمر اعتداءً على حقوقهم.

وقد ينبه الأب أو الأم إلى ذلك بالزجر تارة، وبالعقاب تارة أخرى، ولكن لا يفتأ الطفل أن يعاود الفعلة مرة أخرى، ذلك لأن المعنى لم يرسخ - بعد - في ذهنه. إنه بالقطع لا يتصور أنه فعل أمرًا مذمومًا محرمًا.

ومثل هذا الطفل لا يمكننا أن نعتبره (سارقًا) ويكفي، لكي نعوده على سلوك الأمانة أن ننمي فكرته عن الملكية الخاصة والملكية العامة، وذلك بأن نخصص له أدوات خاصة يتناول بها طعامه، وأخرى يستخدمها في الاعتناء بأمور نظافته الشخصية، وأن نخصص له كذلك اللعب والكتب والأدوات التي يحتفظ بها في مكان يخصه وحده، في الوقت الذي نطالبه بضرورة الحفاظ عليها من التلف، والعناية بها وعدم إهدارها أو فقدها.

٢- الحرمان والحاجة لسد الرمق:

قد يسرق الطفل ليسد الرمق ويشبع دافع الجوع لديه، وتكون السرقة هنا منصبة إما على نوع من أنواع الطعام، أو على النقود التي ينفقها لشرائه، وهذا النوع من السرقة نادر الحدوث، ويكاد يكون مشكلة اجتماعية أكثر منه مشكلة سيكلولوجية، أي أن هذه السرقة تدخل في نطاق المهتمين بالإصلاح ومشكلات المجتمع ونظام العمل والأجور وتوزيع الثروة فيه، أكثر مما تدخل في نطاق المهتمين بالدراسات والمشكلات السلوكية والنفسية، على الرغم من أن الحرمان عندما يصل إلى هذا الحد يكون له آثاره النفسية السيئة.

٣- الغيرة والانتقام:

الطفل قد يسرق في المواقف التي تثار فيها غيرته الشديدة، فقد يسرق من والديه إذا وجد أنهما انصرفا عنه وأهملا شئونه، والسرقة هنا انتقامية كرد فعل لتجاهل الوالدين له هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قد تكون السرقة نوعًا من التنفيس عن الغضب أو الحنق المكبوت، ولذا فقد تكون الأشياء المسروقة من أشياء أو ممتلكات الوالدين، وقد لا تكون؛ فقد يلجأ الطفل إلى سرقة زميل له يشعر تجاهه بالضيق أو الغيرة، ولا يستطيع مواجهته أو مصارحته، فيسرق أدواته، وقد يحطمها لأنه يسرق بدافع الانتقام والتشفي.

٤- الرغبة في الامتلاك:

قد يسرق الطفل شيئًا لأن لديه رغبة ملحة في استخدام أو امتلاك الشيء المسروق، إذا وجد الطفل بحوزة صديقه لعبة أعجبته، في الوقت الذي لا يمتلك مثلها، فقد يفكر مليا في سرقتها واستخدامها في خفيه تامة ليستمتع بلذة ملكيتها، ونشوة استعمالها. وفي هذه الحالة لا يسرق الطفل إلا ما يروقه من أشياء، وفي بعض الحالات يعيد الطفل الشيء المشروق خفية أيضًا، بعد أن يكون قد استخدمه وحقق رغبته، ولم يعد لهذا الشيء المسروق الجاذبية بالنسبة له. ومن هنا يتحتم على الآباء أو الأمهات توفير الأدوات أو المقتنيات أو اللعب، التي تروق أطفالهم، وتجتذب أبصارهم قدر الإمكان؛ حتى لا يلجاون إلى السرقة بدافع الرغبة في الامتلاك.

٥- التخلص من المآزق:

كثير من الأطفال يسرقون ليتخلصوا من مآزق قد يمرون بها، فقد يقسو المعلم على أحد تلاميذه بالتأنيب أو التوبيخ، كلما أخفق في أداء واجباته، أو في عدم صرعة تلبيته لفهم الدروس؛ مما يسبب له مآزق سيئة، كأن يتهكم منه

أقرانه، فيحاول الطفل الخروج من تلك المآزق بشراء بعض الهدايا، التي يقدمها إلى المعلم علها تخفف من حدة التأنيب والتوبيخ، وإذا لم يجد الطفل المال الكافي لشرائها فإنه يلجأ إلى السرقة، متمثلة إما في سرقة إحدى مقتنيات أبيه ليقدمها هدية للمعلم، أو يسرق بعض المال ليبتاعها. وقد تجد هذه السرقة تشجيعًا ورواجًا إذا تقبلها المعلم شاكرًا ممتنًا، ثم راح يتغاضى عن تقصيره الدراسي.

لذلك... ننصح المعلمين بعدم قبول مثل هذه الهدايا من الصغار أو الكبار، لا سيما إذا كانت تلك الهدايا باهظة الثمن، عالية القيمة، الأمر الذي يجعلنا نتشكك في طريقة أو وسيلة الحصول عليها، وأيضًا حتى لا تكون مثل هذه الهدايا نوعًا من الرشوة المهذبة التي سرعان ما تتأصل في سلوك الأطفال كسلوك محمود، كلما وقعوا في مآزق متشابهة في حياتهم العملية بعد ذلك.

٦- الخوف من العقاب:

يحدث أن نجد طفلاً قد أضاع مثلاً علبة ألوانه بالمدرسة، فيذهب إلى المنزل يشكو لأبويه، حتى يمكنه الحصول على النقود ليبتاع أخرى، فيأبى والداه أن يأتياه بمثلها، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل يهددانه بالعقاب الصارم إذا لم يجد عليه ألوانه المفقودة؛ فيفكر الطفل في سرقة النقود اللازمة لشراء علبة الألوان؛ اتقاء العقاب المزمع تنفيذه. وبعد أن يبتاع مثلها، يهم الصغير إلى والديه، ويخبرهم أنه قد وجد علبة ألوانه مختبئة في صوانه الخاص. وعندما يقتنع الأبوان بذلك، يزول بالتالي خطر التهديد والعقاب، ويستنشق الطفل عبير الأمن والأطمئنان، ولكن بعد أن يتعلم أن السر قة قد تقي من العقاب أحيانًا.

لذا نحذر الآباء من شدة العقاب إذا ما فقد الصغار أدواتهم، لأن هذه الأمور تعد مسلكًا يحدث لكل الصغار، والواجب على الآباء أن يوجهوا أطفالهم بنوع من المودة والحب متغاضين عن العقاب لأول مرة، فيهموا بتلبية مطالبهم

بإعطائهم البديل، أما إذا تكرر الموقف مرة آخرى، فليتعرفوا اسباب هذه الظاهرة، فقد يكون الطفل ضعيف الذاكرة، أو سريع السهو أو النسيان، أو أن هناك في المدرسة أطفالاً أعتادوا سرقة مثل هذه الأدوات، ونؤكد أن الخوف من العقاب يدفع الصغار دائمًا إلى الإتيان بأساليب سلوكية غير مرضية كالسرقة أو الكذب.

٧- **التفاخر والمباهاة:**

يعاني بعض الأطفال الحرمان من امتلاك الأدوات واللعب التي تروقهم، إما لضيق ذات اليد، وإما لسوء تقدير الأبوين بشأن توفير ما يحتاجه أطفالهم من أدوات ولعب، ثم يذهب الطفل إلى المدرسة، أو إلى النادي فيروعه الأمر ويؤرقه؛ لأنه يرى بحوزة أصدقاءه أو أقرانه عديدًا منها، ومما يزيد الأمر سوءًا أن يجد من رفاقه المباهاة والتفاخر بما يملكون، والسعادة الغامرة بما ينعمون. فتدب الغيرة في قلبه، م يترسخ بداخله الشعور بالنقص لفقده الامل في اقتناء مثل هذه الأدوات واللعب، والنتيجة المتوقعه هي أن الطفل يفكر مليًّا في الأمر فلا يجد سوى السرقة مفرًا ومخرجًا؛ فيهم بسرقة مثل هذه الأشياء من آصدقائه أو أقرانه ليلهو بها ويتمتع بصحبتها، وعندما يسأله أبواه عن مصدر هذه اللعب والأدوات، فإنه يدعى ان أصدقائه أهدوه إياها، وقد يجنح فيدعى أنه فاز في إحدى المسابقات المدرسية فكافأته إدارتها بأن أعطته هذه الهدايا!! .

أو لعل الطفل يسرق النقود ويشتري هذه اللعب ويحتفظ بها بعيدًا عن الأنظار؛ حتى يحين موعد ذهابه إلى المدرسة فيضع هذه اللعب أو بعضها في حقيبته المدرسية ليتمكن من التباهي والتفاخر بها أمام أقرانه، مدعيًا أيضًا أن والديه قد ابتاعاها له.

ولا شك أن هذا الطفل يعاني من شعور شديد بالنقص، ويشعر دائمًا بأنه دون مستوى أقرانه، لذلك على الأبوين توفير ما يمكنهم توفيره من تلك

الأدوات واللعب، وهذه ليست معضلة على الإطلاق، فهناك من اللعب والأدوات ما يستلفت النظر، ويأخذ بالعقول لجمال ألوانها وبديع صنعها مع كونها زهيدة الثمن، إذا ما قورنت بما ينفقه الآباء على شراء التبغ مثلاً، كما أن الأم إذا وضعت ذلك نصب أعينها لأمكنها أن تقتصد مما تنفقه على زينتها وملبسها؛ فتوفر الشيء المعقول الذي تنفقه لشراء ما يحتاجه أطفالها؛ حتى لا يضطروا - بدافع التباهي والتفاخر - إلى السرقة.

٨- التقليد والمحاكاة:

يتابع معظم الأطفال باهتمام شديد ما يجرى في عالم الكبار، فنجد الطفل يستمع لأقوال والده ويحاول فهمها وترديدها وقد يتحمس لها، والفتاة تبدأ في الاهتمام بما تردده الأم فتتابع أحاديثها بإنصات شديد، هذه السمات من شأنها أن تؤثر على الطفل؛ فهو على استعداد دائم للوقوع تحت تأثير الآخرين، وهي ما يطلق عليها علماء النفس "القابلية الشديدة للاستهواء"، حيث يكون الطفل على استعداد للتأثر بما يسمعه أو يشاهده، خاصة مما يكبرونه سنا، ويشغلون أدواراً مهمة بالنسبة له مثل الأب أو الأم، بحيث إنه يمكن أن يغير من آرائه، ويعدل من اتجاهاته حسب رغبات واتجاهات هذا الآخر، ويتضح أن الطفل في تلك المواقف إنما يقوم بعملية توحد مع نموذج معين، والنموذج هو الشخص الذي يتأثر به، وبهذا يميل الطفل إلى التقليد والمحاكاة، فهو عن طريقهما يستطيع أن يشكل سلوكه ويكون معتقداته ومثله العليا وقيمه، وقد يحدث أن تمتد يد الأم إلى حافظة نقود زوجها لتستولى في - تكتم وسرية - على بعض النقود، فيراها الطفل دون أن تشعر بوجوده، ثم يأتي الأب ليكتشف الأمر فيثور، والام بالقطع تتنصل من المسؤولية، أما الطفل فإن عقله يذهب ويجئ، يحاول أن يتصور ويستنتج، وغالباً ما يسأل نفسه: "هل أظل صامتاً أحتفظ بالحقيقة لنفسي؟ أم أروي ما رأيت فأكشف أمر أمي فيدب الصدام بينهما، ثم أنال العقاب من أمي

بعد ذلك"؟ ومهما يكن موقف الطفل، فقد تأثر تأثرًا سيئًا بفعلة أمه (النموذج والقدوة)، فالأرجح أن هذا الطفل سيغير من قيمه التي اكتسبها، ويعدل من اتجاهاته التي سبق له وتبناها، وبمرور الوقت لا يسأل الطفل والده عما يريده من نقود، بل ستمتد يداه إلى حافظته ليأخذ منها ما يعينه على الإنفاق، ثم تمتد يداه أيضًا إلى حقيبة والدته ليسلب منها ما يبغي، وهكذا يصبح الطفل محترفًا للسرقة لا لشيء، وإنما لأن القدوة والنموذج قد رآها مُتلبسة بالسرقة فيتوحد ويقلد ويحاكى.

٩- أصدقاء السوء:

الطفل تتسع دائرته الاجتماعية، ويتمثل ذلك في وجود أصدقاء له يذهب ويجئ معهم، من وإلى المدرسة، ويقضي بصحبتهم فترات الراحة والاسترخاء والطفل يجد نفسه مشدودًا إلى أصدقائه يبدي ولاءً وإخلاصًا لهم، ويكون على استعداد للتضحية في سبيلهم بكل ما يملك، ويكون سعيدًا وهو يفعل ذلك.

وحينما لا يتدخل الأب أو الأم في انتقاء الأصدقاء.. فقد ينحرف الطفل ويسوء الاختيار، فهذا الطفل تعرف بصديق يقطن إلى جواره في المسكن، يكبره بعدة سنوات، كان يرافقه في رحلات قصيرة في أيام العطلات الأسبوعية، ولسوء الحظ كان هذا الصديق منحرفًا سلوكيًا، إذ كان معتاد السرقة، ولما كان الطفل يقع تحت تأثيره، وكان الأبوان في غفلة عن ابنهما.. فقد انتهت هذه الصداقة باشتراكهما في سرقة النقود وبعض الأشياء الأخرى، لقد وجد الصغير في هذا السلوك متعة في إثبات ذاته وقدراته، كما وجد لذة في الجرأة والشجاعة التي تصاحب السرقة.

إن أصدقاء السوء أخطر ما يكونون على الأطفال الصغار، وقد كان في إمكان الأبوين توجيه مثل هذا الطفل؛ لإثبات وجوده وذاتيته وقدراته في اتجاهات إيجابية كثيرة، تفيده وتفيد المجتمع أيضًا، وكان من الضروري عليهما انتقاء أصدقائه الانتقاء الصحيح والملائم.

١٠- شغل وقت الفراغ وإشباع الميول:

يظهر الطفل تقدمًا اجتماعيًا في لعبه، فبعد أن كان انعزاليًا في سنتي المهد، فرديًا في طفولته المبكرة، يصبح لعبه جماعيا في الطفولة المتأخرة، فهو يشارك في الألعاب الجماعية بكل بحماس ودأب، فمن اللعب الانعزالي الذي يلعب فيه دون أن يشاركه أحد حتى يصل إلى مرحلة اللعب الجماعي، الذي يكاد يتنهي فيه وجوده كفرد مستقل لحساب وجوده، إلى عضو في جماعة تعمل لتحقيق هدف مشترك. إذًا الطفل يحتاج لشغل أوقات فراغه في لعب جماعي يضمه مع أصدقائه وأقرانه. ويحدث أحيانًا أن يعيش الطفل في جو عائلي صارم، فيمنع من مخالطة أقرانه إمعانًا في فرض الحماية، أو إدعاء الخوف خشية تعرضه لحوادث، قد تصيبه من جراء ذلك، وحينما يهم الطفل بسؤال والديه لأجل تلبية رغباته بمنحه بعض النقود، التي تمكنه من الذهاب إلى التنزه أو ارتياد مسارح أو ملاهي الأطفال فإنهما يرفضان، وقد لا يكون هذا الرفض من منطلق التقتير عليه بل لسوء التقدير، فهما يؤكدان أن وجوده في المنزل أدعى وأفضل لمن في مثل عمره!! فيذعن الطفل لأوامرهما، ويمكث في المنزل دون شغل وقت فراغه بما يشبع ميوله، ولما يضيق الطفل من هذه العزلة الصارمة، يضطر في النهاية إلى سرقة بعض النقود، كلما سنحت له الفرصة؛ فينفقها في مشاهدة عروض مسارح الأطفال أو ارتياد الحدائق والمتنزهات أو ركوب الدراجات.

لذلك... فإننا ننصح الآباء والأمهات باشتراك أطفالهم في النزهات الخلوية والأنشطة المدرسية المختلفة كالرحلات والمعسكرات وارتياد مسارح وملاهي الأطفال، وأن يخصص الأبوان فرص الذهاب إلى الحدائق والمتاحف والمعارض وغيرها.

هذا... وتظهر بدايات الميول عند كل الأطفال - وإن كانت لا تعرف التخصص إلا مع نهاية مرحلة الطفولة المتأخرة وبداية مرحلة المراهقة - من أجل ذلك لابد من إتاحة الفرص؛ لممارسة أكبر قدر من الأنشطة في كافة المجالات كالرسم والتصوير والقراءة الحرة والموسيقى وجمع العملات أو الطوابع التذكارية. والأمر الذي يدعونا للدهشة والقلق معًا أن بعضًا من الآباء لا يهتم بتنمية الميول كجزء أساسي من تربية الطفل وتنشئته، على اعتبار أن مزاولة هواية كالرسم مثلاً مدعاة لمضيعة الوقت، وإنها من قبيل الترف ولا عائد يرجى منها...

كل هذه الأمور تجعل الطفل يلجأ إما إلى سرقة النقود لشراء ما يروق له من ألوان، أو ليبتاع آلة موسيقية صغيرة، أو قد يلجأ في أحيان أخرى إلى سرقة هذه الأدوات من بعض الأصدقاء أو الأقران أو من حجرات التربية الفنية أو الموسيقية أو الرياضية بالمدرسة، ولذلك فإن السرقة تكون بغرض إشباع الميول التي يريد الطفل من خلالها أن يشغل بها وقت فراغه؛ لذا ينبغي توفير مثل هذه الأدوات والآلات، التي تشبع ميول الأطفال وتشغل وقت فراغهم؛ حتى لا يلجأوا إلى مثل هذا النوع من السرقة.

١١- البيئة الإجرامية:

قد يعتاد الطفل أحيانًا السرقة؛ لأنه قد ينشأ في بيئة إجرامية عودته السرقة وشجعته على الإعتداء على ملكية الغير؛ خصوصا حينما يشعر الطفل بنوع من القوة والظفر وتقدير الذات، لا سيما حينما يفلت من العقاب!! ومما يدعو للأسف أن هذا السلوك الذي يكتنف الطفل في الصغر، سرعان ما يتطور ويتحول إلى سلوك إجرامي في الكبر؛ لأنه البيئة شجعته على السرقة.

ونود أن نقول إن الأطفال الصغار الذين يضبطون وهم يسرقون ثم يودعون مؤسسات رعاية الأحداث، إنما هم في الواقح أطفال، يتمتع غالبيتهم بذكاء

مرتفع، وقدرات عقلية وبدنية لا بأس بها، ومن هذه القدرات: سرعة حركة الأصابع، وخفة الحركة، وارتفاع معدل اللياقة البدنية بالمقارنة بأقرانهم، كما أنهم على جانب كبير من دقة الملاحظة والاستنتاج، كما يمتلكون اللباقة في الحديث والتظاهر بالأدب الجم والميل إلى مساعدة الغير، وكلها دون شك تجعل من عملية السرقة أمرًا ميسورًا. والملاحظ أن هؤلاء السارقين الصغار إنما يسرقون دائمًا تحت تأثير الكبار؛ أي أنهم يسرقون كأعضاء في منظمة أو جماعة، وقد يلجأ زعيمهم إلى تهديدهم بالضرب والعقاب أو الأذى، إذا امتنعوا عن تنفيذ أوامره، ومن ثم يعتادون السرقة ويحترفونها.

وقد أدلى بعض الأطفال من نزلاء مؤسسات رعاية الأحداث ببعض الاعترافات، التي تجعلنا تجاه مسؤولية خطيرة ملقاة على عاتقنا بشأن رعايتهم وتأهيلهم؛ فقد قال أحدهم:

"لقد دربنا زعيمنا على استخدام الحيل تدريبًا جيدًا طويلاً، وهذه الحيل تساعدنا على استدرار عطف ضحايانا تمهيدًا لسرقتهم". وقال آخر: "إننا تدربنا طويلاً على وسائل وطرق السرقة؛ خصوصًا في الأماكن العامة المزدحمة بالمارة، كذلك على السطو على المنازل والمحال التجارية".

ونحن نرى أنه لابد من الاهتمام بالأطفال، نزلاء مؤسسات رعاية الأحداث عن طريق:

- ❖توفير سبل الرعاية والراحة لهم، واحترام إنسانيتهم، وأن يعاملوا على أساس أنهم أطفال ضنت عليهم الحياة بسبل الرعاية والأمان، فتلقفتهم الأيدي الشريرة وزرعت ما زرعت في نفوسهم من سرقة وتسول، وعلى ذلك لا يجب معاملتهم كأطفال مجرمين بالفطرة أو السليقة.

- ❖ لابد أن يقدم لهم أساتذة الطب النفسي والأخصائيون النفسيون والاجتماعيون الإرشاد والتوجيه والرعاية .

- أن نوفر لهم عديدًا من الندوات والمحاضرات الدينية؛ حيث يلتقي فيها هؤلاء الصغار مع رجال الدين ليعلموهم أمور دينهم ودنياهم، ويغرسون في نفوسهم المثل العليا والقيم الدينية والأخلاقية المستقاة من شرائع ونواميس الأديان السماوية .
- أن نوفر لهم رحلات ترفيهية وتثقيفية على مستوى عال.
- أن يتعلموا مهنًا عملية كالنجارة والسباكة وأعمال الدهانات وغيرها؛ حتى يكتسبوا عملاً شريفًا، على أن تلتزم الدولة وقطاعاتها ومؤسساتها بتوفير فرص العمل لهم في شركاتها ومصانعها .
- أن تقدم وزارة التربية والتعليم العون الكامل؛ لكي يستكمل هؤلاء الأطفال دراستهم التي انقطعوا عنها.

١٢- الضعف العقلي وانخفاض معدل الذكاء:

الضعف العقلي هو حالة نقص أو تخلف أو توقف أو عدم اكتمال النمو العقلي، يولد بها الفرد أو تحدث في سن مبكرة إما لعوامل وراثية أو مرضية، تؤثر على الجهاز العصبي للفرد؛ مما يؤدي إلى نقص معدل الذكاء.

ولما كان الطفل المصاب بحالة الضعف العقلي يجد صعوبة في التوافق الاجتماعي من حيث نقص الميول والاتجاهات... فإنه يقع تحت تأثير الأطفال الأذكياء والأكبر منه سنا، والذين قد يوجهونه إلى السرقة؛ لذلك يستلزم من الآباء والمربين أن يقدموا لمثل هؤلاء الأطفال العلاج الطبي والتأهيلي اللازم، وتصحيح أي سلوك خاطئ أو مضطرب يقومون به، مع حمايتهم من استغلال الآخرين لهم.

ظاهرة الأَثَرية كمظهر من مظاهر السرقة:

هناك نوع آخر من السرقة يرتبط بنقص الحب والرعاية، وفي هذا النوع يختار الطفل أحد الأقرباء أو الأصدقاء يستريح له ويتوسم فيه موضوعًا لحبه، وغالبًا ما يكون من جنس مخالف، ويرغب الطفل في أن يقيم معه علاقة عاطفية، تعوض الحنان أو الحب المفقود، فما لم يستجب هذا الشخص له، ولم يلتفت إليه.. فإن الطفل لا يستطيع تحمل هذا الصد أو الحرمان، فيمضي في إصرار لإقامة العلاقة، ولكنها تكون في الخيال بالدرجة الأولى، وهنا يلجأ الطفل إلى سرقة إحدى الأشياء من ذلك الشخص - وفي العادة لا يكون للشيء المسروق قيمة مادية تذكر. ولكن الطفل يسرق هذا الشيء ويضعه في مكان أمين، ويتفحصه بشوق واهتمام كلما مر بمواقف محبطة أو مؤلمة، ويجد في الاحتفاظ به رمزا لاستمرار العلاقة، ولهذا يحرص عليه جدًا، واذا فقده فإن علاقته بموضوع حبه واهتمامه تتهدد، وهذه الظاهرة الفريدة هي ما يطلق عليها علماء النفس ظاهرة "الأثرية" FETHISM، إشارة إلى أن هذا الشيء المسروق يمثل أثرًا من آثار المحبوب.

لذلك... يتحتم على الآباء والأمهات بذل قصارى جهدهم من أجل توفير الحب والحنان والرعاية لأطفالهم؛ خوفًا وتحسبًا من أية إنتكاسات قد تصيب "صحة الطفل النفسية"، أو تؤثر سلبا على مجمل سلوكياته وتصرفاته، وليضعوا نصب أعينهم دائمًا أن الوقاية خير وأفيد من العلاج.

حينما يعتاد الأطفال السرقة!!

قد تكون السرقة سلوكًا عارضًا، سرعان ما يزول إذا اتبع الآباء والمربون نهجًا تربويًا قويمًا في علاج المشكلة عند بدء ظهورها، وقد لا يهتم الآباء كثيرًا عند ظهور أعراض هذه المشكلة؛ فيتأصل الداء ويستفحل وتنشأ الخطورة الحقيقية حينما يعتاد الأطفال السرقة؛ لتصبح عندئذ من مكونات سلوكهم. على أن هناك فئة من الآباء أو الأمهات يقفون موقف الدفاع، ينفون عن أطفالهم تهمة السرقة، رغم كل الأدلة المنطقية التي تثبت بالدليل الدامغ ارتكابهم لها، وهم في ذلك لا يجرؤون على بحث المشكلة بحثًا موضوعيًا بعيدًا عن التحيز للوصول إلى الحقيقة، بل إن أسهل السبل لديهم هو إنكار وقوعها أصلاً.

والبعض الآخر من الآباء أو الأمهات يذهلهم ويطير برشدهم أن يدمغ أطفالهم بسلوك السرقة، فيلجأون إلى العنف والقسوة والضرب تجاههم، ومن الآباء من يسرف في إسداء النصائح العميقة، ومحاولة غرس القيم الدينية والخلقية غرسا فاترًا، بلا جدوى.

ولكي نقيّم حالة الطفل من كونه سارقًا أم لا، لابد من:

١- معرفة الطفل أولاً: هل هي المرة الأولى، أم لا؟ وما هو نوع المسروق، وكميته، وملابسات كل ذلك.

٢- عدم الاستعجال في إصدار الأحكام قبل فحص الطفل نفسيًا وعقليًا ومعرفة درجة ذكائه ودراسة حالته ووضعه الإجتماعي وعلاقته بجماعة الإنحراف وأهل السوء.

٣- إن العلاج النفسي يتطلب معرفة ما إذا كان الطفل يسرق لكي يرضى نفسيًا ويشعر بالرضى والطمأنينة من ممارسة السرقة. وليس هذا فقط، بل علينا التمعن في أشياء أخرى قد تكون وراء ممارسة الطفل

للسرقة مثل حبه للإنتقام من أحد بواسطة السرقة أم أنه يمارس السرقة كرد فعل لحدث معين. إن مهمة المعالج للطفل الذي يمارس السرقة لابد من أن تركز على الوظيفة التي تؤديها ممارسة السرقة من قبل الطفل في حياته، وكذلك التشخيص والتمحيص لدوافع الطفل للسرقة.

أما الآباء فتقع على عاتقهم مسؤوليات كبيرة نحو أبنائهم من خلال الإحترام المتبادل والحنان والعاطفة والدفء العائلي، كما أنه لا يجب أن يغفل الآباء عن

توفير ما هو ضروري للأبناء مثل الأكل والملابس وهي أمور لا جدال حولها.

وكذلك لابد من تعميق الشعور بالملكية للأشياء لدى الطفل وتعليمه إحترام ما يخصه وما يخص الآخرين، ولا يجب أن يتهاون الآباء إزاء الأبناء عندما يعتدون على ملكية أطفال آخرين وذلك طبعًا لا يتم بالعقاب إنما بالإقناع المرن والشرح وعلى الآباءط الاستمرار في مراقبة سلوك الأبناء بتوجيه الإرشاد الصحيح والنصح بعيدًا عن الإهانة والتوبيخ... إلخ.

ونقرر أن موقف الآباء لا ينبغي أن يقتصر على استقصاء الحقيقة والبحث وتقديم النصح فحسب، بل ينبغي أن يكون إلى جانب ذلك، موقفا يهتم بالبواعث والدوافع الحقيقية، التي أدت إلى مثل هذا السلوك؛ حتى موقفًا يهتم بالبواعث والدوافع الحقيقية، التي أدت إلى مثل هذا السلوك؛ حتى يمكنهم التوصل إلى الحلول المناسبة، التي من شأنها أن تقي الطفل مغبة سلوك السرقة هذا.

تنمية مفاهيم المِلْكية عند الأطفال:

يشعر الطفل بالحاجة إلى الامتلاك في سن مبكرة، وهذا الشعور هو شعور طبيعي، ولكن من الآباء من يهمل ذلك فلا يكاد يفرق بين ما يمكن أن يملكه الطفل أو ما لا يملكه، أحيانًا كثيرة يقع الآباء فى أخطاء تقليدية، والتي كثيرًا ما تسبب فى مشكلات سلوكية بحيث يشتروا لعبة واحدة ليلعب بها أكثر من طفل، ظنًا منهم أن هذه وسيلة مثالية لتعليم الأطفال الإيثار والتعاون بدلاً من الأنانية، وهم بذلك يجانبهم التوفيق؛ لأن الطفل لم يعد يفرق بين خصوصياته وخصوصيات غيره. وعلى ذلك فإن تشجيع الآباء لشعور الأطفال بالملكية - غير المبالغ فيها - يساعد فى غرس الاتجاهات الإيجابية نحو احترام ملكية الغير، بل وينمي فيهم اتجاهات سلوكية سديدة نحو الأمانة.

والأطفال في غالبيتهم يدعون ملكية أشياء لا تخصهم، ولكن مع تطور النمو، يستطيعون أن يدركوا ما يخصهم وما لا يخصهم، ملكيتهم وملكية غيرهم، ذلك لو أن الآباء اعتادوا على شرح أن الاعتداء على ملكية الغير تحت أي مسمى، وبأي تصرف إنما صفة سيئة، وعادة غير مستحبة، وأنها تُسمى في كل الأحوال والحالات "سرقة".

ولذلك... فيجب على الآباء والمربين عدم تبرير موقف الطفل، الذي يستولى على حاجيات الآخرين - فلا يراعي بذلك حقوق ملكية الغير - على اعتبار أنه ما يزال طفلاً، أو أن ما يأخذه إنما هو من أخ أو قريب وليس من غريب!! فهذه المبررات إنما هي مبررات واهية، وعنصر التسيب فيها أكبر من عنصر الضبط، لأن الطفل يأخذ فى تعميم السلوك فما يفعله داخل المنزل يفعله خارجه، وما يحصل عليه بداخله يريد الحصول عليه خارجه.

ولعلّ من أهم قواعد وأسس تكوين الاتجاهات الإيجابية نحو الأمانة واحترام ملكية الغير، هو احترام حقوق الطفل بما يملكه من أدوات أو لعب؛ بحيث

تترك له الحرية فى الاستمتاع فى استخدامها بقليل من التوجية بين الحين والآخر، ولا نغالي في القول إذا أكدنا على ضرورة أن يكون لكل طفل ملابسه الخاصة وكذلك لعبه، وكتبه، وفراشه، وأدوات مائدته ونظافته، فلا يتصرف فيها أحد إلا بإذنه وموافقته.

تنمية سلوك الأمانة عند الأطفال:

يرى "جان بياجيه Jean Piaget" بعدما تمكن من دراسة النمو الخلقي عند الأطفال:

❖ أنه يحدث تطور في مفهوم الأمانة عند الطفل، فبعد أن كان الطفل لديه مفهوم جامد عن الأمانة، يتمثل فى تطبيق القواعد، بصرف النظر عن أية اعتبارات أخرى أو ظروف محيطة بالموقف، نجده مع التطور الخلقي يبدأ فى إدخال الظروف والملابسات المحيطة بالموقف فى تقديره واعتباره.

❖ يحدث تناقض فى طاعة الطفل للوالدين، إذا كانت تتعارض مع احساس الطفل بالأمانة، فإذا كان الطفل فى أول المرحلة ينحاز فى اتجاه والديه، فإن هذا الانحياز يتناقص حتى يكاد يتلاشى، وينحاز الطفل فى الثانية عشرة من عمره إلى ما يعتقد أنه أمين.

❖ ينتهي "بياجيه" إلى أن هناك ثلاث فترات فى نمو معنى "الأمانة" عند الطفل:

❖ الفترة الأولى: وتستمر حتى سن السابعة أو الثامنة، وفيها تكون "الأمانة" حسب ما يرى الكبار (الممثلين فى الوالدين).

❖ الفترة الثانية: تمتد من الثامنة إلى الحادية عشرة، وهي مرحلة المساواة التي يطبق فيها الطفل القواعد كما هي.

❖ الفترة الثالثة: وهي العامين الحادي والثاني عشر، حيث يطبق الطفل قواعد "الأمانة" مشفوعة بتقدير ملابسات الموقف.

... وعلى ذلك فهناك بعض الملاحظات المهمة، التي يجب أن تتبع فى غرس وتنمية سلوك الأمانة في وجدان الطفل، وهي:

❖ يجب أن يدرك الآباء أنه قبل تكوين اتجاه "الامانة"، لابد من حدوث اعتداءات من الطفل على ملكية الغير، وهذا أمر طبيعي يجب أن يقابله الآباء بالمرونة إلى أن يتعلم الطفل أساليب التعاون من (أخذ وعطاء)، كما يجب عليهم عدم التهويل؛ فيقابل الآباء ذلك بالضرب والإهانة، كما أنه من الخطأ الدفاع عن هذا السلوك، فكلا الأسلوبين لا يساعد على تكوين اتجاه "الأمانة".

❖ خلق شعور الملكية لدى الطفل بأن يخصص للطفل مقتنياته الخاصة، وإعطاء الطفل مصروفًا يوميًا، يتناسب مع عمره ووسطه الاجتماعي الذس يعيش فيه.

❖ التسامح قدر الإمكان فى حالات السرقة العابرة، والتي تحدث بلا دوافع نفسية، كذلك عدم دفع الطفل للاعتراف بالسرقة حتى لايعتاد الكذب.

❖ عدم معايرة الطفل أمام الآخرين فى حالة السرقة؛ حتى لا يشعر بالمهانة والنقص، علمًا بأن الطفل لو أحس بمشاعر المحبة والحنو والعطف والرعاية.. فإنه لن يلجأ إلى السرقة.

حتى نقي أطفالنا داء السرقة:

❖ مما لا شك فيه أن الوسط الأسرب أو المدرسب أو البيئب الذب يتوفر فيه الدفء العاطفي والحب والأمن والتوازن في المعاملات والمرونة فى التربية يساعد على وقاية الطفل من الإنحراف السلوكي، الذي يجد متنفسًا له من طريق السرقة كمثال.

❖ ينبغى توفير ضروريات الأطفال من ملابس خاصة وأدوات ولعب وغيرها؛ حتى لا يشعروا أنهم أقل من الآخرين، فيلجأون إلى السرقة لتعويض النقص.

❖ حماية الطفل المفرطة والمبالغ فيها، والتي تعيقه عن الاختلاط السوي مع أصدقائه تساعد على السرقة؛ فلذلك يجب أن ننمي فيه الحس الاجتماعي للاندماج وسط جماعة سواء في المنزل أو الحي أو المدرسة.

❖ احترام ملكية الطفل الخاصة شيء ضروري مهم، ومن هذا المنطلق لابد أن نعلمه كيف يحترم ملكية الآخرين؛ فماذا حدث أن اعتدى الطفل على ملكية أخيه، فلناخذ منه إحدى مقتنياته ونعطيها لأخيه، فإذا ثار واعترض، علمناه أنه كما يثور لأننا اعتدينا على ملكيته؛ فإن أخاه سيثور أيضًا لأننا اعتدينا على ملكيته، وبهذا الدرس العملي سيتيقن أنه من غير المستحب الاعتداء على ملكية الآخرين.

❖ مداومة التوجيه والإرشاد، وغرس القيم الدينية والأخلاقية في وجدانه، مع تقديم النموذج والقدوة الطيبة أمامه، فلا ننهي عن سلوك يقترفه، ثم نأتي به نحن الكبار، مع عدم اتهام الطفل بالسرقة، ونحذر من خلع ألقاب على الطفل من شأنها أن تقضي على سلامة صحته النفسية، كأن نقول له مثلاً: "يا لص" أو "يا سارق".

❖ كل طفل ينمو تكون لديه طاقة ذهنية وجسمانية هائلة، يجب أن نستغلها ونوجهها إلى مشاركته في الأنشطة الإجتماعية والثقافية والفنية والرياضية؛ حتى ننمي مواهبه ونخلصه من طاقاته الزائدة، ونقضي على ملله وضجره بشعوره بالفراغ.

❖ يجب ألا نسرع بإلصاق تهمة السرقة بالطفل قبل التحقق من ذلك، وأن نناقشه بموضوعية وهدوء حول سلوكه، وأن نبصره بمواطن الصواب والخطأ.

❖ لابد من دراسة الدوافع التي دفعت الطفل دفعًا إلى السرقة، فهل السرقة عابرة أم متكررة؟ وهل هو يقلد الآخرين عندما يسرق؟ وهل السرقة تؤدي وظيفة نفسية في حياة الطفل كتغطية فقدانه من الحب أو الحنان أو الرعاية؟ أم أن لها

وظيفة اجتماعية كالتباهي والتفاخر أو إثبات الذات والزهو؛ فإذا ما وضعنا أيدينا على موطن الداء الحقيقي، أمكننا وضع العلاج الناجع والمفيد.

obeikandi.com